الاحتفالُ بالمَولد من التّكريم الواجب

الآراءُ الشاذّة لا تضرُّ بالإجماع

المرجع الدّيني الشيخ جعفر السّبحاني

«لا يُعقَل أنْ يشكَّ أحدٌ في جوازِ الاحتفالِ بمولدِ النبيِّ الأكرم ﷺ، احتفالاً دينيّاً فيه رضى الله ورسوله، ولا تصحُّ تسميتُه بدعة، إذْ البدعةُ هي التي ليس لها أصلٌ في الكتاب والسُّنّة، وليس المرادُ من الأصلِ الدّليل الخاصّ، بل يكفي الدّليلُ العامُّ في ذلك».

مختارات تقدِّمها «شعائر» -بتصرّف- من كُتُب المرجع الدّيني الشيخ جعفر السّبحاني، بمناسبة ذكرى المولد النّبويّ الشّريف.

ثبتَ أنّ حبَّ النبيّ ﷺ وتكريمَه أصلٌ من أصول الإسلام لا يصحُّ لأحدٍ إنكارُه. ومن المعلوم أنّ المطلوبَ ليس الحبّ الكامن في القلبِ من دون أن يُرى أثرُه على الحياة الواقعيّة.

وعلى هذا يجوزُ للمسلمِ القيامُ بكلِّ ما يُعَدُّ مظهراً لحبِّ النبيّ شريطةَ أن يكونَ عملاً حلالاً بالذّات ولا يكونَ منكَراً في الشّريعة، نظير:

١ - تنظيم السُّنّة النّبويّة (الحديث الشّريف) وإعراب أحاديثِها وطبْعِها ونشْرِها بالصّوَر المختلفة، والأساليب الحديثة، وفعل مثل هذا بالنّسبة إلى أقوالِ أهل البيت عليهم السلام وأحاديثِهم.

٢ - نشر المقالات والكلمات، وتأليف الكُتب المختصرَة والمطوّلة حولَ حياة النبيّ وعترتِه، وإنشاء القصائد بشتّى اللّغات والألسن في حقِّهم، كما كان يفعلُه المسلمون الأوائل. فالأدبُ العربيّ، بعد ظهورِ الإسلام، يكشفُ عن أنّ إنشاءَ القصائد في مدْح رسول الله ﷺ كان ممّا يعبِّر به أصحابُها عن حبِّهم لرسول الله ﷺ. فهذا هو كعبُ بن زهير يُنشئُ قصيدةً مُطوّلةً في مدح رسولِ الله ﷺ منطلقاً من إعجابِه وحبِّه له ﷺ فيقولُ في جملةِ ما يقول:

بانتْ سعادُ فقَلبي اليومَ مَتبولُ ... مُتيَّمٌ إثْـرَها لـم يُـفْدَ مكبولُ

نُبِّئتُ أنّ رسـولَ الله أوعدَنـي ... والعفوُ عندَ رسولِ الله مأمولُ

ويقول:

مهلاً هداكَ الّذي أعطاكَ نافلةَ الـ ... قرآنِ فيها مواعيظٌ وتفصيلُ

إنّ الــرسولَ لَنُـورٌ يُستضَاءُ بــه ... مُهنَّدٌ من سيوفِ الله مسلولُ

وقد ألقى هذه القصيدة في حضرةِ رسول الله ﷺ وأصحابِه، ولم يُنكِر عليه رسولُ الله ﷺ.

* وهذا هو حسّانُ بن ثابت الأنصاريّ يرثي النبيَّ ﷺ، ويذكرُ فيه مدائحَه، ويقول:

يدلُّ على الرّحمنِ مَن يقتدي به ... ويُنقذُ مِـن هَوْلِ الخَزايا ويُـرشِدُ

إمـامٌ لهم يَهديهِمُ الحقَّ جـاهداً ... مُعَلِّمُ صِدقٍ إنْ يُطيعوه يَسعَدوا

ومَسْلَمةُ في الإنجيلِ حكَتْ مَثَلُهُ فآزرَهُ فاستغلظَ فاستوى على سُوقِهِ يُعجِبُ الزُّراعَ ليَغيظَ بهمُ الكفّار

* وهذا هو عبد الله بنُ رواحة يُنشيء أبياتاً في هذا السّياق فيقول فيها:

خَلّوا بَني الكفّارِ عن سبيلِه ... خَلّوا فَكُلُّ الخيرِ في رسولِهِ

يــا ربّ إنّـي مـؤمنٌ بقِيلِه ... أَعـرِفُ حـقَّ اللهِ في قبولِـهِ

هذه نماذجُ ممّا أنشأَه الشّعراءُ المعاصرون لعهدِ الرّسالة في النبيّ الأكرم ﷺ ونكتفي بها لدلالتِها على ما ذكرنا. وهناك شعراء مخلِصون صاغوا فضائلَ النبيّ ومناقبَه في قصائدَ رائعة وخالدة مستلهمينَ ما جاءَ في الذِّكر الحكيم والسُّنّة المطهّرة في هذا المجال، فشكَرَ اللهُ مساعيَهم الحميدةَ وجهودَهم المخلصة. ولو قام باحثٌ بجمعِ ما قيلَ من الأشعار والقصائد حول النبيّ الأكرم لَاحْتاجَ في تأليفِه إلى عشرات المجلّدات، فإنّ مدْحَ النبيّ كانَ الشّغلَ الشّاغلَ للمخلِصين والمؤمنين منذ أن لبّى الرّسولُ دعوةَ ربِّه، ولا أظنُّ أنّ أحداً عاش في هذه البسيطة، نالَ من المدحِ بمقدار ما نالَه الرّسول ﷺ من المدحِ بمختلفِ الأساليب.

٣ - تقبيل كلِّ ما يمتُّ إلى النبيّ بِصِلةٍ كبابِ داره، وضريحه وأستارِ قبره انطلاقاً من مبدأ الحبِّ الذي عرفتَ أدلّتَه. وهذا أمرٌ طبيعيٌّ وفطريٌّ في حياةِ البشر حيث يلثمونَ ما يرتبطُ بحبيبِهم ويقصدون بذلك نفسَه. فهذا «قيس العامريّ» كان يقبّلُ جدارَ بيتِ ليلى ويصرِّحُ بأنّه لا يقبّلُ الجدار، بلْ يقصدُ تقبيلَ صاحبِ الجدار، يقول:

أَمـرُّ على الدّيـارِ ديـارِ ليلـى ... أُقبّـلُ ذا الجـدارَ وذا الجـدارا

وما حبُّ الدّيارِ شغفنَ قلبي ... ولكن حبُّ مَن سكنَ الدّيارا

٤ - إقامة الاحتفالات في مواليدِهم وإلقاء الخطَب والقصائد في مدحِهم وذكرِ جهودِهم ودرجاتِهم في الكتاب والسُّنّة، شريطةَ أن لا تقترنَ تلك الاحتفالات بالمَنهيّات والمحرّمات. ومَن دعا إلى الاحتفال بمولد النبيّ ﷺ في أيّ قرنٍ من القرون، فقد انطلقَ من هذا المبدأ، أي حبِّ النبيّ الذي أمرَ به القرآنُ والسُّنّة.

* يقولُ مؤلّفُ (تاريخ الخميس): «لا يزالُ أهل الإسلام يحتفلون بشهرِ مولدِه، ويعملون الولائم، ويتصدّقون في لياليه بأنواعِ الصّدَقات، ويُظهرون السّرور، ويزيدون في المبرّات، ويعتنون بقراءةِ مولدِه الشّريف، ويظهر عليهم من كراماتِه كلُّ فضلٍ عظيم».

* وقال «أبو شامة المقدسي» في كتابه [الذّيل على الرّوضتَين]: «ومن أحسنِ ما «..» في زماننا ما يفعَلُ في اليوم الموافق ليومِ مولدِه ﷺ من الصّدَقات والمعروف بإظهارِ الزّينة والسّرور، فإنّ في ذلك -معَ ما فيه من الإحسان للفقراء- شعاراً لمحبّتِه».

* وقال القسطلانيّ: «ولا زال أهلُ الإسلام يحتفلون بشهرِ مولدِه ﷺ، ويعملون الولائم، ويتصدّقون في لياليه بأنواعِ الصّدَقات، ويُظهرون السّرور، ويزيدون في المبرّات، ويعتنون بقراءة مولدِه الكريم، ويظهرُ عليهم من بركاتِه كلُّ فضلٍ عظيم. فَرَحِمَ اللهُ امرءاً اتّخذَ ليالي شهر مولدِه المبارك أعياداً، ليكونَ أشدَّ علّةً على مَن في قلبِه مرضٌ وأَعْياه دَاء».

* إذا عرفتَ ما ذكرْناه، فلا نظنُّ أن يشكَّ أحدٌ في جواز الاحتفال بمولد النبيِّ الأكرم ﷺ، احتفالاً دينيّاً فيه رضى اللهِ ورسولِه، ولا تصحُّ تسميتُه بدعة، إذْ البدعةُ هي التي ليسَ لها أصلٌ في الكتاب والسُّنّة، وليس المرادُ من الأصل، الدّليل الخاصّ، بل يكفي الدّليلُ العامُّ في ذلك.

* ويرشدُك إلى أنّ هذه الاحتفالات تجسيدٌ لتكريم النبيّ ﷺ، وجدانُك الحرّ، فإنّه يقضي -بلا مِريَة- على أنّها

إعلاءٌ لمقامِ النبيّ ﷺ، وإشادةٌ بكرامتِه وعظَمتِه، بل يتلقّاها كلُّ مَن شاهدَها عن كَثب على أنّ المحتَفلين يعزِّرون نبيَّهم ويكرمونه ويرفعون مقامَه اقتداءً بقولِه سبحانه: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ الانشراح:٤.

*وفي السنّة النبويّة ما يفيد كرامةَ يوم مولده ﷺ:

أخرجَ مسلم في (صحيحه) عن أبي قتادة أنّ رسولَ الله ﷺ سُئِلَ عن صوم يوم الإثنين، فقال: «**ذاك يومٌ وُلِدْتُ فيه، وفيه أُنْزِلَ عليَّ**».

يقول الحافظُ ابنُ رجب الحنبلي -عندَ الكلام في استحبابِ صيامِ الأيّام التي تتجدّدُ فيها نِعَمُ الله على عبادِه- ما هذا لفظُه: «إنّ من أعظمِ نِعَمِ الله على هذه الأمّة إظهارَ محمّدٍ ﷺ وبعثتَه وإرسالَه إليهم، كما قال اللهُ تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ..﴾ آل عمران:١٦٤، فصيامُ يومٍ تجدّدتْ فيه هذه النِّعمة من الله سبحانه على عبادِه المؤمنين حَسَنٌ جميل، وهو من بابِ مقابلةِ النِّعَمِ في أوقاتِ تجدُّدها بالشُّكر».

(الشيخ جعفر السبحاني، البدعة: مفهومها، حدّها وآثارها: ص ١٢٧ - بتصرّف)

مفهومُ المَولد

الاحتفالُ بالمولد النّبويّ الشّريف ليست له كيفيّةٌ مخصوصةٌ لا بدّ من الالتزامِ أو إلزامِ النّاسِ بها، بل إنّ كلَّ ما يدعو إلى الخيرِ ويجمعُ النّاسَ على الهدى ويرشدُهم إلى ما فيه منفعتُهم في دينِهم ودنياهم يحصلُ به تحقيقُ المقصود من المولدِ النّبويّ.

ولذلك فلو اجتمَعنا على شيءٍ من المدائحِ التي فيها ذكرُ الحبيبِ صلّى اللّه عليه [وآله] وسلّم وفضلِه وجهادِه وخصائصِه ولم نقرأ القصّةَ التي تعارفَ النّاسُ على قراءتِها واصطلَحوا عليها حتّى ظنَّ البعضُ أنّ المولدَ النّبويَّ لا يتمُّ إلّا بها، ثمّ استمَعنا إلى ما يُلقيه المتحدِّثون من مواعظَ وإرشاداتٍ وإلى ما يتلوه القارئ من آيات، لو فعلنا ذلك، فإنّ ذلك داخلٌ تحتَ المولدِ النّبويّ الشّريف ويتحقّقُ به معنى الاحتفال بالمولد النّبويّ الشّريف، وأظنُّ أنّ هذا المعنى لا يختلفُ عليه اثنان.

من بحثٍ للعلّامة محمّد علوي المالكي الحَسني المكّي

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا

سُورَةُ الفَتْحِ ٢٩